إهـــداء..

إلى المستشار فكرى خروب

الذى شرفتنى الحياة بمعرفته وصداقته فى غروب العمر

فكان رمزا لكل ما نتمناه فى قضاءنا

من نزاهة القصد.. وطهارة اليد

وإستقامة العمل.. وإستقلال القاضى

وبعده عن المغانم والمحسوبيات

المؤلف

obeikan.com

obeikan.com

تقديم ضرورى..

تعرضت ثورة الخامس والعشرين من يناير عام ٢٠١١، خلال السنوات الأربعة الماضية إلى حجم هائل من التشويش والتشويه، والمتاجرة بها من جانب أطراف متعددة، بعضهم كان خصما سياسيا وإجتماعيا لهذه الثورة ومضامينها فى الحرية والعدالة الاجتماعية، وفى مقدمة هؤلاء رجال المال والأعمال الذين أثروا ثراءا فاحشا وإجراميا فى عهد الرئيس المخلوع حسنى مبارك وأنجاله وزوجته، والمتحلقين حولهم، وهذا مفهوما وطبيعيا.

وبعضهم الأخر من أجهزة الدولة الأمنية التى توحشت فى عهد هذا الرئيس لأكثر من ثلاثين عاما، وشكلت شبكات واسعة من الأفراد العاملين فيها (وعددهم يزيد على ٨٠٠ ألف بخلاف قوات الأمن المركزى) والعاملين معها من شبكات المرشدين والعملاء والجواسيس (وهؤلاء يزيدون على ٤٠٠ ألف عميل وجاسوس فى كل مواقع العمل والانتاج والجامعات والأحزاب والنقابات والجمعيات الأهلية وغيره)، وهذا أيضا مفهوما وطبيعيا.

ولكن المدهش والغريب فى الحالة الثورية المصرية تلك، هو تآمر أطراف وشخصيات وأحزاب كانت مشاركة فيها - بصرف النظر عن الأسبقية الزمنية - وصاغت شعاراتها التى سقط تحتها ومن أجلها مئات من أنبل شباب هذه البلاد..!!

كان قيادة تنظيم الأخوان المسلمين هم أول من خانوا هذه الثورة وتآمروا عليها، سواء مع المجلس العسكرى الأول (طنطاوى - عنان)، أو مع الولايات المتحدة

ورجال إستخباراتها فى مصر وفى المنطقة، من أجل التوقف بها عند الحدود التى تقبلها الولايات المتحدة وتتفق ورؤيتها لأحوال المنطقة العربية والشرق الأوسط، وكان بسقوط قيادة تنظيم الأخوان (مكتب الإرشاد ومجلس شورى الجماعة وقيادات المحافظات)، قد خانوا شباب الأخوان المسلمين أنفسهم، الذين كانوا وقودا حامية فى هذه الثورة، كما رأيت بعينى ويحفرها ضميرى ووجدانى.

وكان السلفيون، أو التيارات الغالبة فيهم - الذين عارضوا الثورة منذ شراراتها الأولى - قد مدوا خطوط الحوار مع السفارة البريطانية فى القاهرة منذ اللحظة الأولى (وعناصر إستخباراتها)، ليجدوا لأنفسهم مكانا فى التركيبة الجديدة التى لم يدفعوا فيها نقطة دم واحدة، وهكذا نشطوا فى التحالف مع الأخوان المسلمين وتنظيمهم ليتشاركوا فى إلتهام الكعكة التى تصورها قد نضجت لهم، فدفعوا دفعا إلى الانتخابات البرلمانية، وأتهموا مخالفيهم الذين كانوا أصحاب الثورة الحقيقيين وشراراتها، بالكفر والخروج على صحيح الدين.

وكان المجلس العسكرى الأول (طنطاوى - عنان)، الذين قبلوا مطالب الثورة والثوار شكليا بتنحى مبارك ووقف مسلسل التوريث لنجله، قد خططوا منذ اللحظة الأولى لوضع حد لها، وإحتواء آثارها وتداعياتها وطوفانها، وهكذا رأينا حالات إطلاق النيران المباشرة من جانب بعض وحدات الجيش فى ميدان التحرير، وأعتقال العشرات من الشباب والفتيات، وإجراء جريمة ما سمى كشف العذرية.

وكان - للأسف - بعض الشباب الذين لم يتجاوز عددهم العشرات على الاطلاق، والذين شاركوا فى الثورة والتمهيد لها عبر وسائل الاتصال الحديثة (الفيس بوك والتويتر) خلال السنوات الثلاثة السابقة عليها، أو عبر التظاهرات الإحتجاجية هنا أو هناك، قد سقطوا فى غواية بعض المنظمات الغربية المشبوهه، فمولتهم بالأموال

وتحولوا إلى تجار معارك وتجار ثورات، فمكنوا أعداء الثورة من الإمساك بهذا العمل التاريخى غير المسبوق فى تاريخ مصر الحديث لتشويهه وتجريح الثورة والثوار الحقيقيين.

وكان الغرب وفى طليعته الولايات المتحدة ومعه إسرائيل حاضرا، بعد حدوث المفاجأة فى الأيام الأولى، وبدا الارتباك الغربى والأمريكى ظاهرا للعيان – بين موقف وزارة الخارجية والبنتاجون من ناحية وموقف البيت الأبيض من ناحية أخرى – والمؤكد أن دولة بحجم الولايات المتحدة لن تقف مكتوفة الأيدى أمام حدث ضخم يهدد كنزها الاستراتيجى بالضياع، دون أن تضع الخطط والسياسات من أجل إحتواء الموقف، وتوجيه الأحداث بما لا يضر بمصالحها الضخمة فى مصر والمنطقة العربية، وقد عبر "عاموس يادين" رئيس الاستخبارات العسكرية الأسرائيلية السابق، وأحد منظرى الأمن القومى الإسرائيلى عن هذه الحقيقة أمام لجنة الأمن والدفاع فى الكنيسيت وتسربت إلى الصحف بتاريخ ٢ / ١١ / ٢٠١٠ قائلا (أن مصر هى الملعب الأكبر لنشاطات جهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيليى، وأن العمل فى مصر تطور حسب الخطط المرسومة منذ عام ١٩٧٩. لقد أحدثنا الإختراقات السياسية والأمنية والاقتصادية والعسكرية فى أكثر من موقع، ونجحنا فى تصعيد التوتر والإحتقان الطائفى والاجتماعى لتوليد بيئة متصارعة متوترة دائما، ومنقسمة إلى أكثر من شطر فى سبيل تعميق حالة الإهتراء داخل البنية والمجتمع والدولة المصرية، لكى يعجز أى نظام يأتى بعد حسنى مبارك فى معالجة الانقسام والتخلف والوهن المتفشى فى مصر).

ثم أستكمل الأمر غايته بتشرذم القوى الثورية الحقيقية، وعدم توافقها على برنامج للثورة، وقيادة موحدة لها، فسقطت الثورة كلها فى أيدى خصومها وأعداءها، ومن المفارقات المضحكات المبكيات، أن بعض الشباب الثورى، وبعض شيوخ الثورة

قد طالبوا فى مزادات الإختيارات الوزارية فى يوليه عام ٢٠١٣، بتعيين بعض رموز نظام مبارك، الذين لو فتحت سجلات التحقيقات الجادة لكان مكانهم الحقيقى هو السجن، وكأن الثوار بعد ثورة عظيمة يطالبون من نقيضهم الاجتماعى والسياسى أن يأتى مرة أخرى ليحكمهم..!!

وهكذا عبر المشهد كله عن طابعه السيرالى، بقدر ما عبر عن حقيقة سياسية علمتنا أياها التجارب الثورية فى المجتمعات التى أنجزت فعلا ثوريا مكتملا، وهو أنه لكى تتحقق شروط الثورة الناجحة لابد من توافر ثلاثة شروط أساسية:

الأول: ظرف موضوعى ناضج للثورة، وفى حالتنا المصرية كان متحققا، حيث الغضب والاحتقان بلغ نهايته بعد التزوير الفاجر لانتخابات مجلس الشعب عام ٢٠١٠.

الثانى: ظرف ذاتى ناضج للثورة، أى توافر قيادة تنظيمية وسياسية للثورة، سواء كان حزبا سياسيا أو جبهة ثورية متحدة، وهو ما لم يتوافر فى الحالة المصرية، فقد نجح النظام وأجهزة أمنه طوال أربعين عاما من تجريف الحياة السياسية (رغم التعددية الشكلية)، وإختراق وإفساد أعداد كبيرة من النخبة السياسية والثقافية، عبر الإغواء والإغراء، والتهديد والوعيد وغيرها من الأساليب، كما ساهمت حالة التجريف الاجتماعى التى صاحبت بروز الحقبة النفطية وتداعياتها من سفر أكثر من عشرين مليون مصرى خلالها إلى بلاد كنز علاء الدين النفطى، وإلى تعميق الهوة وأتساع المسافات بين الكوادر الثورية التى أستمرت داخل البلاد وبين جمهورها العريض الذى تحول فكريا وإجتماعيا واقتصاديا إلى الضفاف المحافظة، بل والرجعية.

الثالث: برنامج متفق عليه للثورة ومطالبها، وهذا أيضا لم يكن حاضرا ومتفقاً

عليه بين كافة المكونات التى شاركت فى الثورة، سواء فى مجال سياسات العدالة الاجتماعية، أو السياسات الدولية لمصر، أو غيرها.

وفى المحصلة النهائية كان لدينا غضب مكتوم لسنوات طويلة، وكان الغليان يتصاعد يوما بعد يوم، ولم تكن النخبة السياسية واعية لهذا التحول فى المزاج العام، كما أن الكثيرين منهم قد تورطوا لسنوات فى علاقة مصالح شخصية مع النظام وأجهزة أمنه.

ومن هنا لم تنجح الثورة المصرية فى تحقيق غاياتها، والمحزن أنها قد سهلت على أعداءها الانقضاض عليها من كل جانب.

لقد تفشى بين بعض الشباب، خصوصا هؤلاء الذين تلاعبوا بالثورة المصرية وأسترزقوا من وراء أحداثها، مقولات خاطئة ومفاهيم مغلوطة، حاولوا تمريرها بين كثير من الناس، ومنها أن الثورة بدأت بهم وسوف تنتهى لديهم.

وبشر بعض الكتاب الذين رددوا مقولات من قبيل أن مصر ليست " تونس "، مقولات من قبيل أن الثوار لا يصلحون لإدارة الدولة وأجهزتها، ومن المفيد ترك الحكم لرجال الحكم، الذين هم فى النهاية رجال النظام القديم الذى ثار ضده الشعب المصرى بقواه الحية.

كما بثرت إلى السطح من رسموا لأنفسهم بطولات كاذبة، وأدواراً خيالية – ليس أقلهم صفوت حجازى وأسامة ياسين وأيمن نور وغيرهم كثير – وتوارى البعض خجلا وتواضعا بعد أن كثر " الأبطال الواهمين ".

ومن هنا وبعد أن هدأ غبار حوافر الجياد المتصارعة، فتحت أوراقى التى يعلمها البعض ويجهلها البعض الأخر، لأنشر بعض الحقائق وبعض الأدوار الخفية، علها

obeikan.com

تكون مادة صالحة للمؤرخين الصادقيين الذين لا شك سوف يتوقفون كثيرا أمام أحداث وخفايا هذه الثورة العظيمة، بالفحص والتأمل والتحليل وفقا لمناهج علم التأريخ بعيدا عن الهوى والظن والدسائس.

وقد يكون من المناسب هنا عرض الأساس النظرى والسياسى للموقف الذى أتخذته قوى المعارضة الوطنية المصرية التى شاركت فى ثورة يناير، خصوصا وأن الإلتباس الذى جرى بين هذه القوى بعد صعود تنظيم الأخوان المسلمين قد ألقى بظله الكئيب على المشهد السياسى، وأقتنصته بعض القوى الموالية لنظام الفساد والاستبداد لحسنى مبارك، فقد أنطلق موقفنا من محاولة الإجابة على السؤال الاستراتيجي الأساسى وهو:

أين يكمن التناقض الرئيسى فى تلك اللحظة؟ وأين هو التناقض الثانوى؟

بمعنى أخر من هو العدو الرئيسى الذى يهدد الدولة والمجتمع المصرى الراهن؟ ومن هو العدو المحتمل أو التهديد المحتمل فى المستقبل؟

وجاءت إجابتنا جميعا حاسمة: أن العدو الرئيسى فى تلك اللحظة الذى يهدد مصر، ويعرضها للبيع فى سوق السياسة الدولية والاقليمية هو نظام الرئيس حسنى مبارك، وجماعات المافيا التى تحيط به، وتبيع وتهدر كل مقدرات الدولة المصرية. أما الأخوان المسلمين فهم خطر محتمل، وتهديد محتمل قد يكون فى المستقبل، وإذا ما لاح فى الأفق حضور هذا الخطر والتهديد، فسوف نحاربه بكل قوة كما حاربنا لثلاثة عقود سابقة نظام حسنى مبارك وجماعته؟

وهذا يقدم تفسيرا نظريا كافيا، لمن يتساءل حول تحالفنا مع جماعة الأخوان المسلمين قبل ثورة ٢٥ يناير عام ٢٠١١.

وأنا هنا أعرض ما لدى على الناس، دون أن أبخس حقوق الأخرين الذين ناضلوا بشرف ضد سلطة الفساد والاستبداد، وهم للحقيقة كثر، يستحقون التحية والإجلال، وأطالب كل من لديه وثيقة أو قرينة، أو معلومة حول هذه الثورة العظيمة أن ينشرها ويقدمها للناس، علنا بهذا نكون قد قدمنا للشهداء بعض من حقوقهم.

عبد الخالق فاروق

يناير ٢٠١٥

obeikan.com